﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [الإسراء: 40]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

التّنديد بالمشركين الّذين ادَّعوا البنوّة لله وخصّوه بالإناث

بعد أن نبّه سبحانه أنّه تعالى لمّا نبّه على فساد طريقة من أثبتوا له شريكًا، واتّخذوا له نِدًّا ونظيرًا، ممّا يدلّ على جهلهم وسوء فعلهم، قفّى على ذلك بالتّنديد والتّقريع لمن أثبتوا له ولدًا، ثمّ إنّه قد بلغ بهم الجهل مبلغه، والوقاحة مبلغها حين اعتقدوا أنّ الولد قسمان، وأنّ أشرف القسمين البنون، وأخسّهما البنات، ثمّ بنوْا على ذلك أنّهم أثبتوا البنين لأنفسهم، مع علمهم بنهاية عجزهم ونقصهم، وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأنّ الله تعالى هو الموصوف بالكمال الّذي لا نهاية له، والجلال الّذي لا غاية له[1]، فقال سبحانه منكرًا عليهم هذا كلّه: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾: (صفو): أصل واحد يَدلُّ على خُلوصٍ من كُلِّ شَوْبٍ، من ذلكَ الصَّفاءُ، وهو ضِدُّ الكدر؛ يُقالُ: صَفا يَصْفو، إذا خَلصَ، يُقالُ: لَك صَفوُ هذا الأَمرِ وصِفْوَتُهُ، والصَّفيُّ: ما اصطفاهُ الإمامُ مِنَ المَغْنَمِ لِنَفْسِهِ، والجَمْعُ: الصَّفايا[2]، واستَصْفَى الشَّيء واصطفاهُ: اختاره كأنَّه أخذه؛ لأنَّه أصفَى جِنْسه أو أجوده، والمصطفى ﷺ صَفْوَةُ اللّه مِنْ خَلْقِهِ، ومن ذلك أصفاه بكذا: أعطاه الصَّفوة من الشَّيء[3]، والمقصود بالإصْفاءِ في الآية: جَعْلُ الشَّيْءِ صَفْوًا، أَيْ: خالِصًا، والمراد به: أَخْتَصَّكم ربُّكم فآثركم بصفوة الأولاد؟

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 345.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صفا).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صفا).

2) ﴿وَٱتَّخَذَ﴾: أصلُ الأخذ: حَوْزُ الشَّيْءِ وجَبيُهُ وَجَمْعُهُ، قالَ الخَليلُ: هوَ خِلافُ العَطاءِ، وَهوَ التَّناوُلُ[1]، والإِخذُ بالكسر: الاسمُ، والأمْر منه خُذْ، وأصلُه اُؤْخُذْ إلّا أنَّهم استثقلوا الهمزتين فحذفوهما تخفيفًا[2]، وهو مِنَ الأضداد: يقال: أَخذَ الشَّيْءَ عَنْوَة، إذا أَخذه غَصْبًا وغَلَبَة، وأَخذه عَنْوَةً إذا أَخذه بمحبَّة ورضًا من المأْخوذ منه[3]، والاتِّخاذُ: افْتِعالٌ مِنَ الأَخْذِ وَهوَ التَّناوُلُ، والتَّناوُلُ يُشْعِرُ بِتَحْصيلِ ما لَمْ يَكُنْ قَبْلُ، فالاتِّخاذُ في الآية مُشْعِرٌ بِأَنَّهُ صُنِعَ، وذلكَ مِنْ تَمامِ التَّعْريضِ بِالمُخاطَبينَ[4].

3) ﴿قَوْلًا﴾: القَوْلُ: مَصْدَر قالَ، ومَعناهُ: الكَلامُ على التَّرْتيب، أو كُلُّ لَفْظٍ نَطَقَ به اللِّسانُ، سواء كان مُفيدًا أو لم يَكُن، يُقال: قالَ، يَقولُ، قَوْلًا، أيْ: تَكَلَّمَ كلامًا، والقَوْلُ يَقَعُ على الكَلامِ التّامِّ، وعلى الكَلِمَةِ الواحِدَةِ على سَبيلِ الحَقيقَةِ، ويُسْتَعْمَلُ بِمعنى جَميعِ الأَفْعالِ، كَقَوْلِهِم: قالَ بيَدِهِ هكذا، أيْ: أَخَذَ، وقالَ بِرِجْلِهِ، أيْ: مَشَى، ومِنْ مَعانيهِ أيضًا: القيلُ، والمَقالَةُ، والمَذْهَبُ، والحُكْمُ، والجَمْعُ: أَقْوالٌ[5]، والقَوْلُ في الآية مُسْتَعْمَلٌ في المَقولِ اللِّسانيِّ، وهو يَقْتَضي اعْتِقادَ ما يَقولونَهُ مِنَ البُطلان.

المَعْنى الإِجْماليُّ:

يبيِّنُ اللّه تعالى في الآية الدَّليل على استحالةِ أن يكونَ له شريكٌ أو ولدٌ، فيقول: أفخَصَّكم ربُّكم - أيُّها المُشركونَ - بالذُّكورِ من الأولادِ، فلم يجعَلْ لِنَفسِه نَصيبًا منهم، وجعَلَ الملائكةَ بَناتٍ له كما

آثـارُ الـشِّـركِ ضَـلالُ العُـقُولِ في احتكامها إلى الـهـوى لا إلى المنطق المعقول

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخذ).
(2) الجوهري، الصحاح: (أخذ).
(3) ابن الأنباري، الأضداد، ص: 79.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 109.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (قول)، والنّووي، تهذيب الأسماء واللغات: 4/ 106، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 277.

تَزعُمونَ، والحالُ أنَّكم لا تَرضَونَ البناتِ لأنفُسِكم؟! فهذا خِلافُ المَعقولِ والمَعهودِ المُتعارَفِ عليه؛ فإنَّ السّادةَ لا يُؤثِرونَ عَبيدَهم بأفضَلِ الأشياءِ، ويتَّخِذونَ لأنفُسِهم أدْوَنَها، إنَّكم - أيُّها المُشرِكونَ - لَتَقولونَ علَى اللهِ قَولًا عَظيمًا، بافترائِكم أنَّ المَلائِكةَ بَناتُه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

موقع الجملة ممّا قبلها ودلالته:

ترتيب الإنكار على النّهي، تأكيد له في سياق الآية الكريمة

هذه الجملة: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾ متفرّعة على الجملة السّابقة: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[2]، ومترتّبة عليها ترتّب الخاصّ على العامّ؛ فإنّه لمّا نهى نهيًا عامًّا عن جعل إلهًا آخر مع الله، نهى هنا عن اتّخاذ الملائكة آلهة للعباد بادّعاء أنّهم بنات الله، وعلّة التّخصيص بعد التّعميم هو أنّ فريقًا منهم كان يفعل هذا، كما أخبر عنهم سبحانه بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾ [الزخرف: 19]، وقوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾ [النّحل: 57].

غرض التّعبير بالاستفهام ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾:

هزُّ نفوس المشركين بالاستفهام الإنكاريّ

غرض الاستفهام بالهمزة هنا التّكذيب، فالاستفهام معناه النّفي، والمعنى: كذبتم لم يكن منه اصطفاء للبنات، وهذا إنكار وتفضيح باختيار مذهب ظاهر الفساد[3].

دلالة (الفاء) بعد همزة الاستفهام:

الهمزة مُقدَّمة قبل الفاء ذِكرًا، والأصل فيها التّأخير

الفاء بعد الهمزة هي مقدّمة عن تأخير، إذ الأصل (فأصفاكُمْ)؟ وذلك أنّ الهمزة هنا زاحمتِ الفاء على الصّدارة، فكلّ منهما له حق الصدارة؛ الفاء لكونها عاطفة، والهمزة لكونها استفهامًا، وتقديم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 602، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 77، والسّعدّي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 458، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 157.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 107.

(3) شيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 5/ 387، والطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/ 207.

الهمزة على الفاء هذا أمر خاص بها دون بقية أدوات الاستفهام الأخرى، كما نرى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: 25]، وقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التكوير: 26]، وللزمخشري مذهبه في مثل هذا التقديم، هو أن يُقدِّر فعلًا محذوفًا بين الهمزة والفاء ليصح العطف عليه، والمعنى على هذا: أفخصّكم ربّكم على وجه الخلوص والصّفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيبًا لنفسه، واتّخذ أدونهم وهي البنات؟[1].

دلالة التّعبير بالماضي ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾:

عبَّر الذِّكر الحكيم بقوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ فعلًا ماضيًا دخلت عليه همزة الاستفهام الإنكاريِّ التّكذيبيّ على معنى: هل تحقّق لديكم ووثقتم وثوقًا كاملًا، بأنّ الله فضَّلكم وأعطاكم البنين، وخصّ نفسه بالبنات، فقلتم هذا وادّعيتموه دون أن يخالجكم في صحّة هذا القول شكّ؟ والمراد نفي حدوث هذا مطلقًا، أي: ما حدث أنّ الله تعالى ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾، فما كان ينبغي منكم أن تقولوا هذا القول.

التّعبير بالماضي يدلّ على الوثوق بالوقوع وتحقّقه، وهو ما أُنكِر عليهم

غرض التّعبير بضمير الخطاب في: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾:

كاف الخطاب الملحقة بالفعل هي ضمير موجه إلى المخاطبين بالنّهي، في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، فقد أُنكر عليهم أو على فريق منهم أنّهم خصوا أنفسهم بالبنين، ونسبوا إلى الله تعالى البنات، وهم والملائكة،"وتعدية (أصفى)، إلى ضمير المخاطبين، على طريقة الحذف والإيصال، وأصله: أفأصفى لكم"[2].

خطاب المشركين بالتّكذيب تبكيتٌ لهم على كذبهم

غرضُ تقديم ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ على الفاعل ﴿رَبُّكُم﴾:

أمّا الاهتمام، فلأنّ المخاطَبين، قد أتوا أمرًا عظيمًا، استحقّوا به الخلود في جهنّم.

التّقديم يفيد الاهتمام والاختصاص

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 688، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 173.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 108.

وأمّا الاختصاص، فهو مناسب لمقام المبالغة، في الإنكار عليهم ما فعلوه؛ أي: أفخصّكم ربّكم بهذا وميّزكم به؟

سرّ التّعبير بالفاعل مضافًا إلى ضمير الخطاب ﴿رَبُّكُم﴾:

الإضافة للتّخصيص في السّياق الكريم

التّعبير بالفاعل مضافًا لضمير الخطاب ﴿رَبُّكُم﴾، هو هنا لغرض التّخصيص، فلا ربَّ لكم سواه، وما اتخذتموه من دونه لا يمكن أن يكون لكم ربًّا، كما أنّ هذا التّخصيص يحمل التّعريض بما هم عليه من شرك، والتنديد بهذا الاختيار والإعراض عن عبادة مَن يستحق العبادة، وهو ربّهم الذي خلقهم ورزقهم.

نكتة إيثار التّعبير بـ (ربّ) على (الله):

إيثار التّرغيب على التّرهيب

وفي إيثار التّعبير بـ (ربّ) على التّعبير بلفظ الجلالة (الله) الّذي له كلّ مظاهر الهيبة والجلال والرّهبة؛ لفتٌ إلى مقام الرّبوبية الّذي يدلّ على مطلق الإنعام والرّعاية والتّربية، ترغيبًا لهم في الانصياع له سبحانه بسوق مبرّراته المدلول عليها بلفظ الرّبّ، وقد يُقصد ههنا بالتّعرّض لعنوان الرّبوبية: تشديدُ النّكير وتأكيدُه[1]، أي: إنّه في الحقيقة ﴿رَبُّكُم﴾ فكيف تكفرونه وتنسبون إليه الولد، بل أخسّ الأولاد في نظركم، وهنّ الإناث؟

سرّ التّقييد بقوله ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾:

تأكيد التكذيب زيادة تشنيع وتفظيع

قوله: ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ الباء فيه إمّا مزيدة لتوكيد لصوق الفعل ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ بمفعوله، وأصله: أفأصفى لكم ربّكم البنين، كقوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: 6]، أو ضمَّن ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ معنى (آثَرَ) فتكون الباء للتّعدية، دالّة على معنى الاختصاص بمجرورها، فصار ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ مع متعلّقه بمنزلة فعلَيْن؛ أيْ: قصر البنين عليكم دونه ...، وجعل لنفسه الإناث اللّاتي تكرهونهن[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 173.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 108.

دلالة العطف في ﴿وَٱتَّخَذَ﴾:

في العطف بالواو لجملة: ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾، على جملة ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾ دليل على مساواتها بها في الإنكار، وجوَّز بعضهم أن تكونَ الواوُ للحالِ، على تقدير (قد)[1].

العطف على التّكذيب زيادة في الإنكار

دلالة التّعبير بالماضي افتعل ﴿وَٱتَّخَذَ﴾:

عبّر القرآن الكريم بالماضي ﴿وَٱتَّخَذَ﴾؛ لأنّ الكلام مُتّجهٌ إلى ما كان قد صدر عنهم بالفعل ووقع، وهو زعمُهم أنّ الملائكة بنات الله.

إيراد التّكذيب في صورة المُحقّق الواقع

نكتة التّعبير بصيغة افتعل ﴿وَٱتَّخَذَ﴾:

من عجائب القول بالاتّخاذ هنا وغرائبه، أنّه يتناقض مع ادّعائهم أنّ الملائكة بنات الله؛ فالاتّخاذ يقتضي أنّه خلقه ليتّخذه، وذلك ينافي التّولُّد، فكيف يخلق الشّيء ثمّ يكون ابنًا له، فذلك في البطلان، ضغث على إبالة[2].

التّعبير بالاتّخاذ، دالّ على فساد قولهم وتناقضه

دلالة حرف الجرّ ﴿مِنَ﴾ في قوله ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

حرف الجرّ ﴿مِنَ﴾ هنا صلةٌ ﴿وَٱتَّخَذَ﴾[3]، وهو على معنى: اتّخذ الملائكة إناثًا، والأَعْلى أنّه ذو دلالة بيانيّة لجنس المُتّخذ في زعمهم، وفيه زيادة سخرية من دعواهم.

دلالة تقديم ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ على ﴿إِنَٰثًاۚ﴾:

في تقديم شبه الجملة ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ على المفعول به ﴿إِنَٰثًاۚ﴾ في دعوى القائلين بذلك، إفادة (الحصر) حيث كانوا يزعمون أنّ الملائكة بنات الله، من سروات الجنّ[4]؛ أيْ: من شريفات الجنّ.

بيان أنّ التّقديم للحصر والاختصاص

سرُّ التّعبير بلفظ (الإناث):

وأشير بذكر ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ﷺ وإيرادِ الإناث مكانَ البنات إلى

إيثار الوصف بالأقلّ شأنا في نظرهم القاصر

(1) السّمين، الدّر المصون: 7/ 358.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 108.
(3) الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 4/ 190.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 121.

كفْرة لهم أخرى، وهي وصفُهم لهم ﷻ بالأنوثة التي هي أخسُّ صفات الحيوان - في نظرهم - كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزّخرف: 19][1].

غرض التّعبير بشبه الطّباق ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾، ﴿إِنَٰثًا﴾:

إبـــــرازُ مـدى جـــوْرهـــم في إثـبـات الـبـنـوّة لله وتقسيمها بـيـنـهـم وبـيـنـه تعالى

غرض هذه المقابلة بين لفظي ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ و﴿إِنَٰثًا﴾ هو إظهار مدى الجوْر والجهل في نسبتهم الولد إلى الله تعالى أوّلًا، ثمّ في اختصاص أنفسهم بالبنين، وربّهم بالإناث، وهذا حكمٌ معكوس من كلّ جهة، مِن جهة أصله، ثمّ مِن جهة تقسيمه.

دلالة الاستئناف في جملة: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾:

تأكيد التّكذيب، إلـهـاب للإقـلاع عنه

بين هذه الجملة المستأنفة والّتي قبلها (كمال اتّصال)، لأنّها مؤكّدة لمضمونها، بحيث تعتبر معها كالجملة الواحدة.

غرض التّعبير بالجملة الاستئنافيّة وكونها اسميّة:

الاسـمـيّـة آكـدُ دلالـــةً وأثـبـتُ معنًى

في إيثار التّعبير بالاسميّة في الجملة الاستئنافيّة، تثبيت وتأكيد للمعنى المقرّر سالفًا، وهو الإنكار عليهم فيما زعموه، من ادّعاء البنوّة لله، ثمّ في التّقسيم غير المنضبط في التّوزيع.

دلالة توكيد جملة الاستئناف بأكثر من مؤكّد:

حشد المؤكّدات دليلٌ على عِظم أمر المؤكَّد

في قوله سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾، عدد من المؤكّدات هي: تصدير الجملة بـ (إنَّ) الدّالّة على التّوكيد، واسميّة الجملة، والتّأكيد باللّام الدّاخلة على الخبر ﴿لَتَقُولُونَ﴾، وتأكيد فعل القول بمصدره ﴿لَتَقُولُونَ قَوْلًا﴾.

حُشدت هذه المؤكّدات للدّلالة على عظم الأمر المؤكَّد، وهو إثبات بطلان قولهم الشّنيع أمره، الفظيع مضمونه، وهو قولهم الماضي ذكره: إنّ الله اتّخذ الملائكة إناثًا له، أيّ بنات، فجاءَ التّأكيد على

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 173.

بُطلانه بما ذُكِر منَ المؤكّدات، لتكافئ عظمة الحكم المؤكَّد شناعة القول المُدَّعى.

دلالة التّعبير بالمُسنَد جملةً فعليّةً مضارعيّةً:

تأكيد تكرّر هذا القول منهم واستمراره

دلَّ كون المُسنَد جملة فعليّة فعلها مضارع ﴿لَتَقُولُونَ﴾ على أنّ دعواهم اتّخاذ الملائكة إناثًا، لم يكنْ قولًا عابرًا، بلْ كان قولًا متكرّرًا متجدّدًا يدلّ على اعتقاد منهم في ذلك.

دلالة التّعبير بالقول في: ﴿لَتَقُولُونَ﴾:

إذا عَرِي القول عن الدّليل، فهو كلامٌ أجوف هزيل

في التّعبير عمّا قالوه بأنّه (قول) إشارة إلى تفاهته، فهو مجرّد كلام ليس له من الواقع ما يؤيده أو يُثبته، فكيف عرفوا أنّ الله تعالى اتخذ الملائكة إناثًا وما دليلُهم عليه؟ وفقدانهم لهذا الدليل هو ما عوَّل عليه القرآن الكريم في إنكاره عليهم بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ﴾ [الزخرف: 19] فقوله بالاستفهام الإنكاري: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ﴾ [الزخرف: 19] يثبّت تفاهةَ كلامهم وتهافتَه من كلّ وجه.

سرّ التقييد بالمفعول المطلق ﴿قَوْلًا﴾:

تأكيد فعل القول بمصدره، تأكيدٌ للإنكار

دلَّ تقييد فعل القول بالمفعول المطلق ﴿قَوْلًا﴾ على تأكيد معنى الإنكار، فهو مِن تأكيد الفعل بمصدره؛ لإبراز أنّه "مجرّد قول لأنّه لا يعدو أن يكون كلامًا صدر عن غير رويّة، لأنّه لو تأمّله قائلُه أدنى تأمل، لوجده غير داخل تحت قضايا المقبول عقلا"[1].

سرُّ وصف المفعول المطلق بلفظ ﴿عَظِيمًا﴾:

وصف القول بالعظيم دالٌّ على أنّ فساده قد بلغ الغاية

ولئن كان المفعول المطلق مؤكّدا على فساد ادعائهم، كما مضى بيانه، فإنّ وصفه بالعظيم دال على أن فساده قد بلغ الغاية وحدَّ النهاية فـ "لا أبلغ في تقبيح قولهم من وصفه بالعظيم، لأنه قولٌ مدخول من جوانبه؛ لاقتضائه إيثار الله بأدون صنفي البُنوّة، مع

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 108.

تخويلهم الصنف الأشرف، ثم ما يقتضيه ذلك من نسبته خصائص الأجسام لله تعالى من تركيب وتولد واحتياج إلى الأبناء للإعانة، وليخلفوا الأصل بعد زواله، فأي فساد أعظم من هذا!"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإِصْفاءُ والتَّفضيلُ:

التّعبير بالإصفاء هنا أقوى دلالةً وأنسب للمقام بلاغةً

أصل الصَّفاءِ: خلوصُ الشّيءِ من الشّوب ... واصْطِفاءُ اللهِ بعضَ عباده، قد يكون بإيجاده تعالى إيّاه صافيًا عنِ الشّوب الموجود في غيره[2]، وبذا يظهر أنّ الإصفاء يعبر عن اختيار أصفى الشّيئين وأخلاهما من العيوب، وأمّا التّفضيل، فهو يَدُلُّ عَلَى زيادَةٍ في شَيْءٍ، ومِنْ ذَلِكَ الفَضْلُ فمعناه: الزّيادَةُ والخَيْرُ[3] ويقع التّفضيل بين شيئين أو أكثر بأن يكون أحدها أكمل منَ الآخر فيها، والتّعبير بـ (أصفى) أقوى؛ لأنّه يعني الخلو من العيوب، بخلاف التّفضيلة، فإنه يكون في مقام المفاضلة بين الأشياء، ولا يشتمل على نفي العيوب؛ ولذا فالتّعبير بالإصفاء في الآية أنسب لوفائه بما يقتضيه مقام المبالغة المقصود في الآية الكريمة.

الاتِّخاذُ والخَلْقُ:

الخلق الإنشاء على غير مثال سابق، والاتّخاذ التّصيير على صفة غير صفته

الأخذ هو: حوز الشيء في الأثناء بغلظ؛ أي: قبض بقوّة، وقد جاء أكثر (أخذ) بمعنى القبض الحقيقي أو المجازي، والاتّخاذ افتعال منه، فيقال: (اتخذ) وما تصرف منها، وأصل معناها أخذ – الشيء – لنفسه فهي قبض أيضًا[4]، والاتخاذُ فيه معنى التصيير، ولذا ينصب مفعولين إذا كان بهذا المعنى.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 108.
(2) الرّاغب، المفردات: (صفو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فضل).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (أخذ).

والخلق في اللُّغَة التَّقْدير، يُقال: خلقت الأَديم إذا قدرته[1]، ويستعمل في إبداع الشّيء من غير أصل ولا احتذاء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: 1] أي: أبدعهما، بدلالة قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: 117]، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: 1]، ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [النحل: 4]، وليس الخَلْقُ الذي هو الإبداع إلّا لله تعالى، ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النحل: 17]، وعلى هذا فالخلق معناه الإنشاء والإبداع على غير مثال سابق، أما الاتخاذ فهو تصيير هذا المخلوق وتحويله إلى شيء آخر، فهو تال للخلق ومبنيٌّ عليه.

البَنونَ والذُّكورُ:

الأوّل يأتي في سياق الزّينة والزّهو، والثاني في سياق الوهب والمنح

لا يكاد يظهر الفرق بين اللّفظين (البنين والذّكور)، من حيث دلالة كلّ منهما على الآخر، وأنّ كلًّا منهما يقال في مقابل الإناث، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾، وقوله: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾ [الصافات: 153]، وقوله: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩﴾ [الشورى: 49]، وقوله: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: 36]، فقد لاحظنا في هذه الآيات مقابلة لفظي (البنين والذكور) للفظي (البنات والإناث).

والمتدبّر آيات الكتاب العزيز يرى استخدام (البنين) في مقام الإنعام والتّزيين، وفي سياق الزهو والافتخار، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: 46]، وقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 136.

ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ﴾ [آل عمران: 14]، ولعل ذلك راجع إلى معنى زائد في لفظ (البنين) يفضل به لفظ (الذكور) يدلُّ له قول أبي عَمْرٍو: البَنينُ مِنَ الرِّجالِ العاقِلُ المُتَثَبِّتُ[1]، وأما لفظ (الذكور) فيستخدم في مقام الوهْب والمنْح، كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩﴾ [الشورى: 49].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بنّ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»